مجلة الرائد

العدد : ٢٣١ الموافق في شعبان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١١ ميلادي

عنوان المقال : العوالق ، عوائق العمل الإسلامي	الكاتب : فؤاد كرومي

من الصعب الجزم بصفاء المولود وخلوه من كل عالق ، فالعلم الحديث ، والمنطق البصير ، يؤكدان تأثير العوامل البيولوجية للأم والأب معاً على تشكل الطفل نطفة ثم جنيناً ، مما قد يؤثر في صياغته البيولوجية وبالتالي تركيبته النفسية ، ونحن إذ نذكر هذا لا ننفي بتاتاً حديث رسول الله ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ... » [البخاري : ١٢٩٦] .

فتوحيد الألوهية والتطبيق الكامل للسنن الكونية يجسدهما الوليد ، وما أنا بصدد دراسة نفسية الطفل ، وإنما أقحمت هذه المقدمة لنؤكد أن عوالق النشأة وبالتالي عوالق البيئة والوسط ، تؤثران في تشكيل عقل الإنسان واستعداداته ، وبالتالي وضعه في الخانة المناسبة له .

الحركة الإسلامية إذ تعتمد أسلوب التربية والتكوين ، كثيراً ما تغفل استكشاف عوالق الإنسان المبتغى تربيته وتكوينه ، وبالتالي تنجرف مع مطب نكران الخصوصية والتوجه نحو صياغة القوالب التي تحمل معها عنصر التدمير الذاتي .

فأتدارك القارئ مجيباً عن السؤال :

ما هي العوالق المعيقة للعمل الإسلامي ؟

لا أجازف بالقدرة على رصد العوالق الذاتية والموضوعية للإنسان ، وليس ذلك من تخصصي وإنما أضع المتتبع أمام صورة واضحة لفهم مرامي المقال مجيباً عن التساؤل الأول الذي لزمت بناني للإجابة عليه ، مستدركاً ذلك في الخطاطة المنهجية الآتية :

عوالق كبرى معيقة للعمل الإسلامي

① الأسر التاريخي	② مبدأ الصراع
⇦ الإرث العقدي	⇦ إثبات الذات
⇦ الأسر بالنموذج	⇦ مبدأ الشك الدائم
⇦ الخصوصية بالحيز لجغرافي	

وسنحاول شرحها بإيجاز شديد على أن نتوسع فيها في وقت آخر .

① الأسر التاريخي :

- الإرث العقدي : إن الإرث العقدي قد يكون عند الكثير عالقاً وراثياً وجب التخلص منه ، لأنه معيق لتطور العمل الإسلامي أكثر مما يتصوره الكثير من خدام الإسلام ، فالوراثة عالق معيق وليست إنتاجاً أصيلاً مبيناً على التوبة النصوح ، التي جعلت الجيل الأول فريداً ، كما أكد ذلك الشهيد سيد قطب في معالمه .

- الأسر بالنموذج : (الفلاش باك) التاريخي أصبح المسلم مأسوراً به فاراً إليه في كل وقت وحين ؛ فعدل عمر وشجاعة علي وفصاحة ربعي ﷺ ، وشكل الدولة الراشدة ونظامها ، كل ذلك أضحى معيقاً عن استشراف المستقبل ، فإن سألت أي مسلم عن الدولة المنشودة إلا وطالعته صور الذاكرة الجماعية للخلافة الراشدة . ونحن إذ نذكر هذا لا ننفي القدوة ودورها في البناء ، فنحن هنا بمشاكلة موضوع آخر .

- الخصوصية بالحيز الجغرافي : ولنقارب هذا العنصر بأمر صارخ - عساه يوقظ مضجع العقل الراسب - آخذاً نفسي مثالاً ، فأنا من أبناء المغرب ، أمازيغي اللهجة ، سني المذهب ، مالكي المذهب الفقهي .. إلخ . وأطرح السؤال على نفسي أولو ولدت في طهران مثلاً أكانت صياغتي المذهبية وبالتالي الفقهية ، بنفس شكلها الحالي ؟ . إن هذه الصياغة عالق كبير في رسم مجرى العمل الإسلامي ، وجب إعادة النظر فيه ، وهي من أسباب التفكير القطري الضاغط على العقل الحركي عند الكثير من العاملين للإسلام ، بل هذا العالق قد يطرح إشكالاً حتى عند بعض ذوي الفكر العالمي .

② مبدأ الصراع :

- إثبات الذات : في أثناء رحلة الإنسان الطويلة من أجل البحث عن الذات داخل كيان به لا ينفك عنه ، وبعد إدراكه لقوة العالق ، يحاول بمساعدة الأنا إثبات ذاته كمكون أساسي للكيان الجمعي ، فيكبر عالق الصراع لا كعالق أصلي بل كلاحق محتوم .

عنوان المقال : العوالق ، عوائق العمل الإسلامي	الكاتب : فؤاد كرومي

ـ الشك الدائم : إن المقصود من الشك هنا ليس ذلك الشك الطبيعي الذي يصاحب الخوف من المجهول ، بل نقصد الشك الذي لا ينفك عن الإنسان ، راوده مذ أعلنه إبراهيم عليه السلام ، قال عزَّ وجلَّ : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ... } [البقرة : ٢٦٠] ، ثم أعقب ذلك تساؤلات كثيرة جعلت الشك مبدأ عوض اليقين . وإن كانت الحقيقة خلاف ذلك ، فاستغل الشك التعليمي عند الأنبياء ليصبح معيقاً تربوياً أو على الأقل مؤخراً دعوياً وجب عدم الاستخفاف به .

إنني وأنا أطرح هذه العوالق لا أستطيع أن أجد لها حلاً قبل أن تمحص جميعها بالدرس والتحليل ، ولكن مع ذلك أستطيع أن أخرج باقتناع : إننا نغفل في حركتنا ، في دعوتنا ، في خطاباتنا الفردية والجماعية أياً من العوالق المذكورة وغيرها ، فالناس ليسوا سواسية كأسنان المشط إلا في العدل المادي لا التوجيه التربوي ، ثم إننا في حركتنا الدعوية لا نربي الناس ، إنما نستدرك تربيتهم